

من خيمة الظلام
إلى شعاع الأمل

أمانى عمر



سلسلة أجنحة غزة الصامدة

من خيمة الظلام
إلى شعاع الأمل

أمانى عمر



بَيْنَمَا كَانَتِ الطَّائِرَاتُ الْحَزِيئَةُ تَنْفُثُ سُمَّهَا فِي كُلِّ
مَكَانٍ، وَتَنْشُرُ الْخَرَابَ فِي الْأَرْجَاءِ، وَالْأَلَمَ فِي النُّفُوسِ،
اضْطَرَّ حُسَامٌ وَأُسْرَتُهُ لِلتُّزُوجِ مِنْ حَيِّ بَيْتِ لَاهِيَا،
مُتَنَقِّلِينَ مِنْ حَيِّ النَّصْرِ إِلَى قَلْبِ غَزَّةَ مَشِيًا عَلَى
الْأَقْدَامِ عَبْرَ الطَّرِيقِ الْمُحَطَّمَةِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى خَانِ
يُونُسَ، وَمِنْهَا إِلَى مُخَيِّمٍ فِي رَفْحٍ.

وَهُنَاكَ اسْتَقَرُّوا فِي خَيْمَةٍ صَغِيرَةٍ، حَيْثُ مَكَّنُوا فِيهَا
حَوَالِي عِشْرِينَ يَوْمًا، يَلْفُهُمْ ظِلَامٌ دَامِسٌ، فَلَا كَهْرَبَاءَ
بِالْمَدِينَةِ.





وَكَمْ كَانَتْ مُعَانَاةُ الْأُمِّ كَبِيرَةً حِينَ أَصَابَهَا الْعَجْزُ عَنْ
رُؤْيَةِ تَوَامِهَا الصَّغِيرَيْنِ وَرِعَايَتِهِمَا، وَكَمْ تَعَثَّرَتْ وَهِيَ
تَتَهَيَّأُ لِوُضُوءِهَا وَصَلَاتِهَا.

أَمَّا الْأَبُ الْمُسِنُّ فَقَدْ مَدَّ يَدَهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً وَسَطَّ
الظَّلَامَ، يَبْحَثُ وَيَتَلَمَّسُ عُلبَ الْأَدْوِيَةِ، يَزُجُو شِفَاءً
لِمَشَاكِلِهِ الصَّحِيَّةِ الَّتِي أَرْهَقَتْهُ.

لَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَشْهَدُ يَمُرُّ مُرُورًا عَادِيًّا بَيْنَ نَاطِرِي
حُسَامَ، الْفَتَى صَاحِبِ الْخَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا، فَقَرَّرَ أَنْ
يَخْتَرِعَ ضَوْءًا لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِهِ، يُبَدِّدُ بِهِ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ.





ذَهَبَ حُسَامٌ إِلَى سُوقِ الْخُرْدَةِ بَاحِثًا عَنِ مَرَاوِحٍ مُهْمَلَةٍ، وَبَعْدَ
جَوْلَاتٍ طَوِيلَةٍ وَجَدَ مَا يَحْتَاجُهُ.
اِشْتَرَى مِرْوَحَةً قَدِيمَةً بِثَمَنِ زَهِيدٍ، وَرَجَعَ إِلَى خَيْمَتِهِ يَحْدُوهُ
الْأَمَلُ فِي تَحْقِيقِ فِكْرَتِهِ الْمُلْهِمَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ فِي تَرْكِيبِهَا.

كَانَتْ وَالِدَتُهُ تُرَاقِبُ حَرَكَاتِهِ وَحِمَاسَهُ، وَتِلْكَ اللَّحْظَةَ الَّتِي
أَخْفَقَ فِيهَا، وَهِيَ تَسْفِقُ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهَا بِتَفَاوُلٍ كَبِيرٍ
وَعَيْنَانِ تَلْمَعَانِ وَقَالَ لَهَا:
- سَأَنْجَحُ يَا أُمِّي، إِنَّهَا الْبِدَايَةُ فَقَطْ.





لَمْ يَسْتَسْلِمِ حُسَامٌ، وَجَلَبَ مِرْوَحَةً أُخْرَى، وَمَعَهَا مَحْرَكَاتٌ
وَأَسْلَاكٌ، وَبَدَأَ التَّرْكِيبَ بِعِنَايَةٍ، وَرَبَطَ الْأَسْلَاكَ بِالْمَرَاحِ حَتَّى
تُخَزَّنَ الطَّاقَةُ فِي الْبَطَّارِيَّاتِ لِيُضِيءَ الضُّوءُ.
وَبَعْدَ مُحَاوَلَاتٍ وَإِخْفَاقَاتٍ، اسْتَطَاعَ أَحْيَرًا أَنْ يُؤَلِّدَ ضَوْءًا مِنْ
طَاحُونَةٍ هَوَائِيَّةٍ صَغِيرَةٍ.

لَقَدْ نَجَحَ حُسَامُ الْعَبْقَرِيِّ الصَّغِيرِ فِي تَوْلِيدِ الْكَهْرَبَاءِ، وَأَبْهَرَ
بِصْنِيعِهِ الْعَائِلَةَ وَالْجِيرَانَ، وَصَفَّقَ لِصْنِيعِهِ الْجَمِيعُ، وَأَطْلَقُوا
عَلَيْهِ لَقَبَ نُيُوتِنِ غَزَّةَ.





لَمْ يَتَوَقَّفْ حُسَامٌ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ بَدَأَ يُفَكِّرُ فِي هَدَفٍ أَكْبَرَ،
وَهُوَ إِنَارَةُ الْمُخَيِّمِ بِأَكْمَلِهِ، لِيُخَفِّفَ مِنْ مَعَانَاةِ الْعَائِلَاتِ الَّتِي
تَعِيشُ فِي الظَّلَامِ، ثُمَّ بَعْدَهَا يُرِيدُ الشُّرُوعَ فِي الْعَمَلِ عَلَى
تَرْكِيبِ مَصْحَةِ مِيَاهٍ لِتَسْهِيلِ حَيَاتِهِمُ الْيَوْمِيَّةِ.

هُوَ لَمْ يَنْسَ هَوَايَتَهُ لَحِظَةً، فَقَدْ جَلَبَ مَعَهُ عِنْدَ نَزْوِجِهِ
بَطَارِيَّاتٍ وَأَسْلَاكًا وَأَدَوَاتٍ، كَأَن يَعْلَمُ أَنَّهَا سَتُفِيدُ مُسْتَقْبَلَهُ،
وَأَنَّ حُبَّهُ لِلِاخْتِرَاعِ سَيُضْبِحُ مُنْقِذًا فِي ظُرُوفِهِ الصَّعْبَةِ.





وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْخَرَابِ وَدَمَارِ الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ فِي غَزَّةَ،
يَظَلُّ حُلْمٌ حُسَامٌ أَنْ يُكْمَلَ تَعْلِيمُهُ، وَأَنْ يُدْعَمَ فِي إِبْدَاعِهِ،
لِيَكُونَ صَوْءًا وَعَوْنًا لِكُلِّ مَنْ حَوْلَهُ، يَقْطَعُ الْعَثْمَةَ بِعَزِيمَتِهِ،
وَيَنْشُرُ رُوحَ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

لَقَدْ أُعْطِيَ حُسَامٌ دَرْسًا لِلْجَمِيعِ بِأَنَّ الْإِرَادَةَ وَالْإِبْدَاعَ قَادِرَانِ
عَلَى تَخْفِيفِ بَعْضِ الْمُعَانَاةِ رَغْمَ الْحَرْبِ الْمُسْتَمِرَّةِ.



جيل الخِلافة



ketaeb.com